إيهود أولمرت: الشاكر ربه! (*)

لم اندهش كثيراً من تصريح إيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلى، الذى تناقلته الصحف وأبداه من آيام بحديثه إلى جريدة "نيويورك تايمز"، أنه - مَنَّ الله عليه بالهداية والرضا - يشكر ربه كل صباح، لا لما اعتاد الناس أن يشكروا ربهم به، وإنما هو يشكره كل صباح "لوجود أمريكا وبوش ورايس"!

واقع الحال أن الشكر الإسرائيلى الأولمرتى لأمريكا وبوش ورايس يصادف محله، فالثلاثى نعمة هائلة تلاحق إسرائيل وأهدافها وأغراضها ومآربها بالرعاية الخاصة جداً وبكل جديد طريف وموصول من الدعم والمساندة والتأييد الأعمى الذى لا ينظر حتى لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية، ولا يكاد يمضى يوم إلاّ ويخرج بوش أو الوزيرة رايس أو الإدارة الأمريكية بعامة، بقرار أو تصريح أو فعل يخدم السياسة الإسرائيلية، فى الوقت الذى يتحرش الخطاب الأمريكى بأخص الداخليات المصرية حتى أنه يعترض بفجاجة على أحكام القضاء المصرى، ويمد هذه الفجاجة إلى تناول أحكام محكمة النقض عالية المقام رفيعة المستوى، ولا ترى هذه السياسة فيما تفرضه وتلوح به لإحكام قبضتها على العالم، نداءات الأمم المتحدة إليها ومطالبتها إياها بإغلاق سجونها السرية بما فيها معتقل جوانتانامو، وحثها على التوقف عن ممارسات التعذيب فى أفغانستان والعراق ومعاقبة المسئولين عنها!!

(*) ٢٠٠٦/٦/١

بيد أن السياسة الأمريكية لا تبالى، بل ولا ترى "الازدواجية" الزاعقة التى تواجه بها العالم، غير مكترثة بأن للدول - كالناس - عقولاً ترى وتفهم وتدرك !.. تتربص أمريكا الدوائر بالنشاط النووى "السلمى "لإيران، بينما تغضى عن الترسانة الذرية الإسرائيلية الكافية لتدمير نصف العالم!!، وتلاحق الشعب الفلسطينى بحصار مهين مذل يرمى إلى تجويعه بتجميد الأموال الفلسطينية حيث كانت وتعليق مستحقات السلطة الفلسطينية (٥٥ مليون دولار) لدى البنوك الإسرائيلية، ووقف كافة المساعدات الدولية، والمساعدات العربية - بل والحيلولة دون وصول التبرعات للشعب الفلسطينى عقاباً له على استخدام حقه المشروع فى انتخاب نوابه وحكومة لا ترضاها الولايات المتحدة صاحبة الحول والطول التى تنادى بديمقراطية بوجهين، وجه تقبله، وآخر تدير له ظهرها لأن حصاد الديمقراطية أتى بما لا تحبه ولا ترضاه!

كيف لايرضى رئيس الوزراء الإسرائيلى ويشكر الرب على النعمة الأمريكية، بجناحيها بوش ورايس، بينما المالأة الأمريكية على أشدها تشيع الاطمئنان فى حنايا إسرائيل حتى تكشف صحيفة يديعوت آحرونوت هذا الأسبوع - وبلا أدنى تحرج أو تحسب من المقارنة! - عن التجارب النووية التى أجرتها إسرائيل مع جنوب آفريقيا عام ١٩٧٩ بمباركة أمريكية وكشفتها وثائق سرية أمريكية عرت ما خفى من آمر الانفجار النووى الذى رصده القمر الصناعى فوق جنوب المحيط الأطلنطى فى سبتمبر ١٩٧٩. تقول أخبار الجريدة الإسرائيلية الواثقة المطمئنة غير المتحسبة، أن ما كشفته الوثائق مؤخرا ينقض ويعرى خطأ نتائج لجنة التحقيق التى كان الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر قد شكلها وأبدت أسبابا أخرى للانفجار النووى خلاف ما كشفته الوثائق السرية الأخيرة!

الحديث عن هذه المهالأة الجانحة، ليس حديث عن ماضٍ ذهب وطويت صفحته، وإنما هو عن حاضر مستمر وموصول، تلقى فيه السياسة الإسرائيلية الهدهدة والرعاية فى كل شىء، حتى اعتادتها إسرائيل واعتادها الشعب الإسرائيلى لدرجة أن الذعر قد عمَّ إسرائيل لمجرد أن واشنطن قدمت إلى لجنة الأمم المتحدة لنزع السلاح - "مسودة" معاهدة دولية تحظر إنتاج المواد الانشطارية . ولا تبالى إسرائيل أن اعتراضها يحرج ويعرى التدليل و "الازدواجية" الأمريكية، ولكن إسرائيل لا تتحرج ولا تبالى لأن المسودة ستفضح ستر تضخمها النووى!.. هذا التضخم الذى تغضى عنه الراعية أمريكا دون أن يهتز لأحد جفن ولا رمش، بينما يجرى تجويع وإذلال وتعقيم الشعب الفلسطينى وتحشيد الدنيا وآليات مجلس الأمن والأمم المتحدة لمطاردة إيران على نشاطها النووى السلمى !!

لم تتعود إسرائيل ولا تقبل أى هنة ولو عارضة تصدر عن الراعية أمريكا وتمس ولو من بعيد ما تريده إسرائيل، وكيف لا، والسيد رئيس الوزراء الإسرائيلى يشكر ربه كل صباح لوجود أمريكا وبوش ورايس؟!

تنكشف حيثيات دعاء الشكر الأولمرتى على النعمة الأمريكية البوشية الرايسية، حينما نلحظ كيف تكبد الإدارة الأمريكية نفسها من أمرها عسرا لمراضاة إسرائيل ومهالأة سياستها المتغوّلة على الحق والعدل.. فلا يقتصر ما تتكبده أمريكا على ما تدفع ثمنه من سمعة سياستها، أو ما تحصده من غضب العرب والفلسطينيين ومن تحفظات معظم دول العالم على هذا الميل والجنوح والازدواجية غير المبررة، وإنما تعانى السياسة الأمريكية من معارضة متصاعدة من الشعب الأمريكى نفسه الذى خرج أخيراً فى مظاهرة احتجاجية بواشنطن على الأسلوب الذى تنتهجه الإدارة الأمريكية فى تعاملها مع البرنامج النووى الإيرانى، برغم أنه برنامج سلمى، بينما تغضى بل

وتبارك الترسانة النووية الإسرائيلية وتختلق الذرائع لتبرير ما لا يبرر!.. بدلا من شعار: "فليبارك الله أمريكا "، وضع المتظاهرون على لافتات التظاهر عبارة: "فليبارك الله كل إنسان على هذه الأرض ".. بينما حملت اللافتة الرئيسية: "الحوار بدل التهديدات "، وطفق المتظاهرون يوزعون بطاقات ولاصقات تقول إن السيد المسيح عندما قال أحبوا أعداءكم لم يكن يعنى اقتلوهم كما تفعل القوات الأمريكية فى الشعب العراقى الذى لم يبادئها بحرب، ولا دعاها لغزو بلاده.. هذا الغزو مع الملاحقة المتعجرفة لكل من سوريا وإيران وحصار وتجويع وتعقيم الشعب الفلسطينى، يصب فى الصالح الإسرائيلى، ويخل بكل الموازين المختلة أصلا، هذا الخلل الذى يعانقه المباركة المطلقة والعمياء للمخططات الإسرائيلية مهما عارضها العالم وشجبتها سنن الحق والعدل والإنصاف!!

دعاء الشكر الذى يتجه به أولمرت إلى الرب مع كل طلعة شمس، شاكراً فيه نعمة وجود أمريكا وبوش ورايس، هو أصدق تعبير عن هذا الخلل المفزع، وهذه الرؤية الحولاء التى لا يجدى فى تقدير تداعياتها الحسابات الضريرة التى تسقط ردود الفعل الإنسانية لدى آدميين يتنامى مع الزمن إحساسهم بالقهر والظلم وتحرقهم إلى العدل الذى غاب مع غياب السلام الذى يتشدق به صناع الحروب والغزوات!!